الفصل الثاني

مقاييس التأثر والتأثير
بين العقائد

مقاييس البشري والإلهي
في التوراة والأناجيل

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثاني

مقاييس التأثر والتأثير بين العقائد

مقاييس البشري والإلهي في التوراة والأناجيل

يرى الكثير من الباحثين أن العقائد تتأثر ببعضها. وبعضهم يضع قاعدة لذلك حيث يقول إن اللاحق يأخذ من السابق ويتأثر به.

لكن المقاييس تتنوع وتتعدد، فما يجري على الأدب والثقافة قد لا يجري على العقائد وخاصة العقائد السماوية الكتابية، فليس شرطاً أن يكون اللاحق متأثراً بالسابق.

غير أن ذلك في علم مقارنة الأديان لا يوقف القول بالتأثر والتأثير. وهناك المقاييس العديدة التي لا تنحصر في مسألة السابق واللاحق، فهناك قواعد لابد من التنبه لها وإدراجها في بنود:

1 ـ مقياس السابق واللاحق.

2 ـ مقياس المواضيع المرتبطة بالعقيدة، كالإيمان بالله الواحد، والإيمان بالكتب المقدسة والملائكة والأنبياء واليوم الآخر.

3 ـ مقياس التشريعات الدينية، كالزواج والطلاق والطهارة والنجاسة والحلال والحرام والتجارة والربا والمعاملات المالية بين الناس والعقوبات الخ.

4 ـ مقياس التاريخ والجغرافيا، فالأحداث والأماكن قد يُستفاد منها من عقيدة لأخرى. كبناء المعابد في أماكن محددة وإقامة الطقوس في مواسم محددة.

5 ـ مقياس العبادات، كالصلاة والصوم والزكاة والحج، حركاتها ومواسمها وطرق تنفيذها وما يقال فيها وأوقاتها.

6 ـ مقياس العلم والعقل والمنطق إذا تعذرت المقاييس الأخرى، فما يوافق العقل قد يؤخذ به وما لا يوافق العقل والعلم قد يُترك ولا يؤخذ به.

opeikandi.com

7 ـ المقياس اللغوي، فقد ترد عشرات المفردات في كتابين لعقيدتين مختلفتين فتكون أحدَ الأدلة على التأثر والتأثير وما ينطبق على المفردات قد ينطبق على التراكيب والجمل وأساليب الكتابة كالتقديم والتأخير والصورة والمجاز وما إلى ذلك.

وفي الواقع فإن أحد أهم المقاييس التي لا يعترف بها الباحثون العلمانيون هو مقياس المصدر السماوي للكتب المنزلة على الأنبياء، وباستطاعتنا أن نجعل هذا المقياس في أوليات الدراسة التطبيقية ما بين الإسلام واليهودية والمسيحية، لأن القرآن الكريم يشير إلى التوراة والإنجيل بأنهما أُنزلا على الأنبياء الذين بعثهم الله لبني إسرائيل وفي هذا المقياس لا مكان لمسألة السابق واللاحق، لأن مصدر هذه الكتب واحد في أساسه هو الله سبحانه وتعالى.

المقياس الأول: السابق واللاحق

أجمع عدد من الباحثين على أن الأديان والعقائد تستفيد من بعضها فتؤثر وتتأثر، خاصة إذا كانت من مناطق متجاورة جغرافياً ومتقاربة تاريخياً. ولما كانت المنطقة العربية قد غصت بالعقائد والأديان فقد كانت مجال بحث لدى الباحثين دون أن يتعدوها إلى مناطق أخرى.

ومن الملاحظ أن بعض العقائد استعارت من غيرها قضايا عقيدية وتشريعية وجدتها مناسبة لها من حيث وجودها النفسي ووجودها الجغرافي وحتى وجودها الديني. ومن المفيد أن نرى بعض تلك العقائد قد وجدت عند غيرها ما هو أفضل وأقرب إلى الكمال مما هي عليه، لذلك لجأت إلى الأخذ العشوائي أحياناً والأخذ المنظم أحياناً أخرى. وحتى لا نقع في مطب هذا المقياس كان لا بد من ملاحظة الأمور التالية:

1 ـ العقائد والأديان بشكل كلي، إما سابقة أو لاحقة وليس بالضرورة أن يأخذ كل لاحق من كل سابق.

2 ـ المقياس الصحيح في هذا هو مقارنة النصوص اللاحقة بالسابقة فإذا ما تتطابقت نميل إلى القول بأن اللاحق قد أخذ من السابق.

3 ـ التقارب الجغرافي مهم جداً في عملية التأثر والتأثير والأخذ وعدم الأخذ، فإذا ما تجاورت ثقافتان دينيتان جغرافياً فإن احتمالات الأخذ تصبح أكثر قبولاً وأكثر واقعية مما لو كانتا متباعدتين.

4 ـ ويرتبط بذلك النقص والتكامل. خاصة في العقائد غير الراسخة وغير المركزة والمستقرة. فالعقائد الناقصة تأخذ من غيرها المتكاملة وخاصة في المفاهيم العقيدية الكبرى وبعض التشريعات.

5 ـ ويرتبط بذلك أيضاً استخدام القوة المسلحة في فرض عقيدة على أخرى ومع مرور الزمن تصبح العقيدة الثانية ذائبة في العقيدة الأولى.

6 ـ يلعب العامل التاريخي دوره في عملية الأخذ وعدمه. فإذا ما تقارب التاريخ أصبح التأثر والتأثير أكثر قبولاً وإذا ما تباعد يقل التأثر والتأثير وقد يتلاشى.

فهذه الملاحظات لابد أن تؤخذ بعين الاعتبار في عملية مقارنة العقائد والأديان حتى لا يكون الحكم على العقائد والمؤثرات فيها عشوائياً ظالماً. وقد وقع في هذا عدد من الباحثين خاصة هؤلاء الذين تناولوا التوراة والعقائد العبرانية بالدراسة.

تواريخ ظهور العقائد والأديان:

بالنسبة للأديان الكتابية أو السماوية:

1 ـ ظهرت الديانة الموسوية بعد نزول الكتاب على النبي موسى ﷺ وقد تم ذلك بعد خروج بني إسرائيل إلى سيناء بمدة. وتعتبر العقيدة الموسوية أول عقيدة كتابية أو سماوية بين العقائد الثلاث، الموسوية والنصرانية والإسلام، وقد أشار القرآن الكريم إلى كتاب موسى ﷺ وحسب التقديرات العديدة فإن الموسوية ظهرت قبل ميلاد المسيح بحوالي 1200 عام.

2 ـ ظهرت عقيدة النصرانية قبل الإسلام بحوالي ستة قرون، وقد أشار القرآن إلى الإنجيل الذي أنزله الله سبحانه على المسيح ابن مريم ﷺ.

3 ـ ظهر الإسلام بعد النصرانية بحوالي ستة قرون، وقد مضى على ظهور الإسلام أربعة عشر قرناً ونصف القرن.

4 ـ ظهرت العقيدة الزرادشتية قبل الميلاد بستة قرون وانتشرت في بلاد إيران وبعض أجزاء آسيا الوسطى، وكتاب الزرادشتية هو الأبستاق والذي يعني الأساس والأصل، أو المتن أو المسند، وهو تعريب الأفستا. ويشمل على واحد وعشرين سفراً. وفقدت معظم أجزائه عند غزو الإسكندر لفارس عام 330ق.م.

5 ـ العقيدة البرهمية ويرجعها بعضهم إلى القرن الخامس عشر ق.م وكتابها الأشهر الفيدا ومعناه المعرفة أو العلم، ويدين بها معظم سكان الهند.

6 ـ ظهرت البوذية قبل الميلاد بخمسة قرون، وقد أقام هذه العقيدة (جوتاما) ويدين بها الكثيرون في الهند وجنوب آسيا وشرقها كالصين واليابان وغيرهما.

7 ـ وانتشرت العقائد الوثنية على مساحات واسعة من العالم في تواريخ متباعدة. فوجدت في اليونان والرومان وفي أفريقيا والجزيرة العربية، وفي بابل وعند الكنعانيين والآراميين وحضارات اليمن القديمة.. الخ.

نستخلص مما تقدم أن الزرادشتية والبوذية ظهرتا في قرن واحد تقريباً.

ونستخلص أيضاً أن هذه العقائد حسب الترتيب التاريخي هي:

1 ـ الهندوسية 1500ق.م

2 ـ الموسوية 1200 ق.م

3 ـ الزرادشتية 580 ق.م

4 ـ البوذية 525 ق.م

5 ـ النصرانية

6 ـ الإسلام600 ب.م

الهندوسية انتشرت في الهند، الموسوية في سيناء، الزرادشتية في إيران، البوذية في الهند وآسيا، النصرانية في المنطقة العربية، الإسلام في المنطقة العربية أولاً.

إذا كانت الهندوسية هي الأقدم فهل أثرت في غيرها مما جاء بعدها من عقائد؟

هل نجد تأثيرات للهندوسبة في العقيدة اليهودية التي تطورت وانحرفت بعد النبي موسى عليه السلام؟

جغرافياً، من الصعب القول إن الهندوسية أثرت في الموسوية أو اليهودية خاصة إذا قارنا النصوص ببعضها، وعرفنا مسار كل عقيدة ومسار تشريعاتها.

وإذا درسنا الموسوية ومن ثم ما حصل عليها من تغيير نرى أنها الأقدم من بين الديانات السماوية. ولكن تجدر الملاحظة أن تدوين كتاب الموسوية الذي اشتمل حسب رأي اليهود على كتاب موسى عليه السلام والأسفار الأخرى التي نزلت على أنبياء بني إسرائيل وكذلك أسفار التاريخ والشعر قد تم أيام السبي البابلي الذي حصل ما بين 570 ـ 550 ق.م.

فإذا درسنا هذه الأسفار تاريخياً وعقيدياً وتشريعياً نرى تقاطعات كثيرة بينها وبين بعض العقائد الوثنية التي كانت سائدة في بلاد ما بين النهرين وسوريا الكبرى كعقائد البابليين والآراميين والكنعانيين وغيرهم.

وفي نفس الوقت يجب أن نلاحظ أن تدوين التوراة التي تم في العراق المجاورة لإيران حصل في منتصف القرن السادس ق.م أي القرن الذي شهد انتشار الزرادشتية في إيران والبوذية في بعض مناطق الهند، وعندما نتذكر أن الفرس قضوا على الدولة البابلية في نفس الوقت الذي كان فيه اليهود موجودين في بابل والعراق وقد تعاونوا مع الفرس الزرادشتيين للقضاء على الدولة البابلية ندرك أن هناك مجالاً للدراسة المقارنة بين اليهودية من جهة والبابلية والفارسية والزرادشتية من جهة أخرى. ولا ننسى في نفس الوقت تأثيرات البوذية والزرادشتية ببعضهما بعضاً بسبب الجوار الجغرافي بين إيران وشمال الهند، وبسبب التاريخ الواحد لانتشارهما.

ويجدر بنا أن نقول: إن التشابه ما بين القرآن الكريم وبين كتاب موسى عليه السلام وإنجيل عيسى عليه السلام كما أنزلا عليهما ليس مرده التأثر والتأثير ومسألة السابق واللاحق، إنما تعود المسألة إلى كون الكتب الثلاثة نبعت من مصدر سماوي واحد. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الكتب باعتبارها منزلة من الله سبحانه وتعالى،

وشرائعها تكمل بعضها بعضاً ولا تناقض بينها، خاصة في عقيدة التوحيد والإيمان بالله الواحد وبالأنبياء والكتب واليوم الآخر، وكذلك في الأسس الخاصة بالتشريعات والمعاملات والعبادات.

الفداء والصلب

من الموضوعات الشائكة التي تحتاج لدراسة مقارنة بين العقائد موضوع صلب الإله وتضحيته بنفسه تكفيراً عن خطايا البشر.

وقد اعتمدنا هذه العقيدة للدراسة المقارنة بسبب كثرتها وشيوعها في عدد كبير من العقائد الوثنية، فقد وجدت هذه العقيدة عند:

1 ـ الصينيين، 2 ـ المصريين، 3 ـ الفريجيين، 4 ـ السوريين، 5 ـ اليونان، 6 ـ الرومان، 7 ـ عند الفرس، 8 ـ المكسيكيين، الهنود.

ونعتقد أن كافة الأقوام والأمم التي عرفت موضوع الصلب كانت أقدم تاريخياً من المسيحية التي آمنت بصلب المسيح.

وعندما ندرس تعاليم المسيح وما أنزل عليه وما قاله نجده لا يقول بمسألة الصلب ولا بمسألة الفداء المرتبطة بها إلاّ ما دوّنه المسيحيون المتأخرون من أناجيل أُلفت بعد المسيح بعشرات السنين، وهذا لم يأت على الحقيقة إنما جاء تأليفاً وتخيلاً وتأثراً بالعقائد الوثنية السابقة.

ولعل من المعروف أن بولس الذي أبدع العقيدة المسيحية الوثنية كان مطلعاً بشكل كبير على تراث اليونان والرومان والفلسفات القديمة الأخرى.

ومنذ صغره كان قد تعلم اليونانية في مدينة طرسوس واطلع على عقائد اليونانيين (وعكف الفتى شاؤل على قراءة الكتب اليونانية فعرف الشيء الكثير عن الآلهة التي عبدها أهل طرسوس وأشهرها الإله زيوس والإله ساندون. ووقعت أبصار الفتى على تماثيل إمبراطورية رومية منصوبة في هياكل طرسوس)[1].

(1) حبيب سعد: سيرة بولس الرسول ص 5.

على كل حال فإن عودتنا لتراث الشعوب الديني يدلنا على مدى اتساع هذه الظاهرة ظاهرة الفداء والصلب.

يقول العلامة دوان في كتابه خرافات التوارة: وكان الفداء بواسطة التألم والموت لمخلص إلهي قديم العهد جداً عند الصينيين وأن أحد كتبهم المقدسة المدعو (يبكيتك) يقول عن (تيان) إنه القدوس الواحد ذو الفضائل السماوية والأرضية وإنه سيعيد الكون إلى البر وإنه يعمل ويتألم كثيراً ولابد له من اجتياز تيار عظيم تدخل أمواجه إلى نفسه وإنه الوحيد القادر على أن يقدم للرب ذبيحة تليق به فالناس يقدمون أنفسهم ذبيحة من أجل اكتساب قوتهم والفلاسفة لاكتساب جاه وشهرة والأمراء لتثبيت عيالهم. أما القدوس تيان فلأجل الناس يموت ليخلص الطالح ويقولون عنه أيضاً إنه واحد مع الله منذ الأزل قبل كل شيء)[1].

أما المصريون فإنهم يحترمون أوزريس ويعدونه أعظم مثال لتقديم النفس ذبيحة لينال الناس الحياة. ويقول دوان نقلاً عن ولكنسون: (إن تألم وموت أوزريس هما السر العظيم في ديانة المصريين).

أما الفريجيون وهم سكان آسيا الصغرى فإنهم كانوا يدعون أن هورس هو المخلص والفادي ويقولون: (إن جنود الكلدانيين قتلوه وسمروه كي يزداد تألماً وأنه صلب لأجل خلاصهم)[2]. وكان السوريون القدماء يقولون إن تموز الإله المولود البكر من عذراء تألم من أجل الناس ويدعونه المخلص والفادي والمصلوب.

وأما اليونان فإنهم كانوا يدعون بروميثيوس مخلصاً كما يدعونه الإله الحي صديق البشر المقدم نفسه ذبيحة لخلاص الناس.

والرومان كانوا يدعون باخوس ابن المشتري من العذراء المخلص الابن الوحيد الذبيح حامل الخطايا الفادي وكانوا يقولون: (لما كثر الشر في الأرض طلب

(1) دوان: خرافات التوراة ص 181 ـ 182.

(2) المرجع السابق 190.

بندورا وتوسل إلى المشتري سيد الآلهة كي يأتي ويخلص الناس من الآثام والخطايا. فاستجاب المشتري لهم وجعل ابنه مخلصاً للمذنبين في العالم).

وكذلك فإن الفرس يعتقدون بأن متراهو الوسيط بين الله والناس والمخلص الذي بتألمه خلص الناس ففداهم.

وعبد أهل المكسيك إلهاً مصلوباً دعوه المخلص والفادي، وكان يُدعى (كوتز لكوتل) وقد ولد من عذراء، ويقولون إنه رسول مرسل من السماء واسم أمه العذراء (حو بشيكترال) وقد بُشرت بأنها ستحمل من دون مضاجعة رجل[1].

وفي العقائد الهندية وتحديداً في كتاب الركفيدا يمثلون الآلهة يقدمون بروشا الذكر الأول قرباناً يعدونه مساوياً للخالق. وجاء في النصوص الهندية. (سيد المخلوقات) برجاباتي قدم نفسه ذبيحة للآلهة. وقال العلامة هوك: (يعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس من الخطيئة، وقدم الإله كرشنا الهندي نفسه ذبيحة ليخلص الإنسان من الآثام).

وقال الموسيوكوينيو في كتابه المعتقدات القديمة: يذكر الهنود موت كرشنا بأشكال متعددة أهمها أنه مات معلقاً على شجرة سمّر بها بضربة حربة. والمقصود من الشجرة الصليب. وقد وُجدت صورة لكرشنا مصلوباً مثقوب اليدين والرجلين ومعلقاً بقميص صورة قلب إنسان.

وقد صور الراهب جورجيوس الإله إندرا الذي يعبده أهالي نيبال مصلوباً وحتى في البوذية يقولون إن بوذا قدم نفسه ذبيحة ليكفر آلام البشر.

وأخيراً يعتقد غالبية المسيحيين أن المسيح قد صلب وقوم نفسه فداء للبشرية وما تزال صورة صلبه موجودة في كنائس المسيحيين على اختلاف مذاهبها.

والواقع أن المسيحية لم تكن تهتم بكيفية الصلب أو من المسؤول عن ذلك بقدر اهتمامها لماذا تم الصلب ولأي هدف مقدس.

---

(1) محمد علي برو العاملي: الكتاب المقدس في الميزان ص 325 ـ 326 ـ 327 ـ 328.

فالعهد الجديد يدقق في ذلك المعنى وإن الصلب أساساً لتحقيق هدف جاء من أجله المسيح يسوع إلى الدنيا. وتحقيقاً أيضاً لرغبة إلهه ورحمة من الرب نحو شعبه لذلك ركزت إصحاحات العهد الجديد في الأناجيل الأربعة على فكرة أن المسيح يسوع كان يعرف مهمته في الحياة وأنه مكتوب عليه التضحية ليخلص الناس[1].

والواقع أن فكرة الصلب والتضحية لم تكن مفهومة في وقتها حتى بين تلاميذه. فقد كان اليهود يعتقدون في قدوم بطل أسطوري قوي يعيد المُلك وليس رجلاً يصلب ليفدي البشرية كلها[2].

نقاش حول المؤثرات الخارجية في المسيحية:

حينما ندرس حياة من كتبوا الأناجيل والرسائل، ندرك أن ثقافتهم ليست ثقافة المنطقة العربية قطعاً. فهي ثقافة رومانية يونانية اختلطت نوعاً ما بيهودية فريسية. لوقا: رجل يوناني من أبناء أنطاكيا. بولس ـ شاؤول: يهودي ترعرع في طرسوس هو وأسرته، بقية كتبة الأناجيل: متى ـ مرقص ـ يوحنا: لا نعرف عنهم إلاّ القليل، ولا تظهر شخصياتهم في أناجيلهم.

وثقافة الصلب والفداء ليست ثقافة المنطقة، إنما هي ثقافة يونانية رومانية هندية أو ما شابه ذلك، وليس غريباً أن يقول كتبة الأناجيل عن الصلب لأنهم يجترّون ثقافة دينية غريبة عن المنطقة، بينما هي مناسبة لعقولهم.

هل شهدت الحضارة الكنعانية ثقافة الصلب، وكذلك الحضارة البابلية أو الآرامية والثقافة ابنة بيئتها. وثقافة الصلب ابنة بيئة يونانية رومانية ليس أكثر ولو ظهر المسيح في روما أو أثينا أو باريس أو موسكو وقالوا بصلبه لقلنا ربما يكون ذلك لأن الثقافة الوثنية اليونانية القديمة وكذلك جارتها الرومانية الوثنية رسخت لديها

---

(1) د. عبد الرحمن نور الدين: رحلة الإنسان مع الأديان ص 90 ـ 91.

(2) المرجع السابق 91.

أساطير وملاحم تقول بصلب الآلهة وأبناء الآلهة. حتى في العقيدة اليهودية وعلى الرغم من تحريفها لا يمكن أن تؤمن بأن الله تجسّد على الأرض ثم يصلب فداء للبشرية من أخطائها.

وهنا لابد أن نتوقف أمام نصّين دينيين، نص من العقائد الهندية ونص من العقيدة النصرانية تتطابق الأحداث فيهما حول صلب كرشنا الهندي وصلب المسيح.

فكرشنا صُلب ومات على الصليب

ويسوع صلب ومات على الصليب

لما مات كرشنا حدثت مصائب وعلامات شر عظيم وأحاط بالقمر هالة سوداء وأظلمت الشمس في وسط النهار وأمطرت السماء ناراً ورماداً وتأججت أشعة نار حامية وصار الشياطين يفسدون في الأرض.

ولما مات يسوع حدثت مصائب جمة متنوعة وانشق حجاب الهيكل من فوق إلى تحت، وأظلمت الشمس من الساعة السادسة حتى الساعة التاسعة، وفتحت القبور وقام كثيرون من القديسين وخرجوا من قبورهم.

وثقب جنب كرشنا بحربة

وثقب جنب يسوع بحربة

وقال كرشنا للصياد الذي رماه بالنبلة وهو مصلوب اذهب أيها الصياد محفوفاً برحمتي إلى السماء مسكن الآلهة.

وقال يسوع لأحد اللصين اللذين صلبا معه، الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفردوس.

ومات كرشنا ثم قام من بين الأموات

ومات يسوع ثم قام من بين الأموات

ونزل كرشنا إلى الجحيم

ونزل يسوع إلى الجحيم

وصعد كرشنا بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً

وصعد يسوع بجسده إلى السماء وكثيرون شاهدوه صاعداً

ولسوف يأتي كرشنا إلى الأرض في اليوم الأخير

ولسوف يأتي يسوع إلى الأرض في اليوم الأخير

والسؤال الذي يطرح نفسه مباشرة هل جاء هذا التشابه صدفة؟ هل استفاد اللاحق من السابق؟ وهل هناك عملية تأثر وتأثير وما الذي أثر بالآخر طالما أن الهندوسية سبقت تاريخياً ظهور المسيحية؟ وطالما أيضاً أن البوذية سبقت المسيحية بالظهور؟

إن دراسة مستفيضة لديانات وعقائد المنطقة العربية تدلنا على أن هناك ديانة توحيدية وُجدت مع إبراهيم عليه السلام ومع أولاده إسماعيل وإسحق وغيرهم. ومن ثم انحرف العرب القدماء عن هذه العقيدة وصنعوا لأنفسهم أصناماً يتقربون بواسطتها إلى الله. وإذا نظرنا إلى العقائد التي انتشرت بين كافة الأقوام العربية من كنعانيين وآشوريين وبابليين وآراميين وغيرهم وجدناهم يعبدون آلهة يرمزون إليها بأصنام تمثلها، كعبادة الشمس والقمر والكواكب وغيرها، لكنهم جميعاً لم يفكروا يوماً أن يعبدوا إلهاً تجسد بشراً، وُلد من عذراء ثم صلب ثم صعد إلى أبيه في السماء ثم سيعود مرة أخرى ليحكم على المسيء والمحسن في يومٍ يسمونه يوم الدينونة.

وقد جهل العرب القدماء ما كانت عليه عقائد اليونان والرومان أو الهنود إلا بعد أن عبروا البحار وصاروا يتاجرون مع الأقوام الأخرى ويرون عباداتهم ومعتقداتهم، وطبيعي أن يحدث التأثر والتأثير.

ولكنْ مع كل هذا لابد أن نشير هنا إلى أن الرومان واليونان والشعوب الأوروبية بشكل عام كانت وثنية بالمطلق ودخلت عقائدها الأساطير التي تتدخل فيها الآلهة كما يتدخل البشر، ولاقت المسيحية التي صنعها بولس أرضاً خصبة لدى العقلية الغربية فكان من المحتم أن تكون هذه المسيحية استجابة متطورة للوثنية.

ومن ناحية أخرى فإن فلسفة الصلب والموت والبعث ليست سوى صدى لفلسفة الهنود وغيرهم التي تعلمها اليونان والرومان بشكل واسع فيما قبل المسيحية.

ولا ننسى أن اليونان والرومان قد توسعوا في حروبهم حتى وصلوا بلاد فارس وشمال الهند وليس من قبيل الصدفة أن تستعار عقائد الهنود والفرس للعقيدة المسيحية التي شاهدنا فيها شخصية السيد المسيح على نمط مماثل لنمط كرشنا أو بوذا، ونستخلص أن المسيحية البولسية لا تمت بصلة لا ليهودية ولا لكنعانية ولا لبابلية وآشورية، فهي ثقافة لا تناسب العقلية العربية ولا البيئة العربية وهي صناعة غربية خاصة بشعوب أوروبا أولاً لأنها تناسب عقليتهم وبيئتهم وأساطيرهم ونمط تفكيرهم.

أما النصرانية الحقة، فهي عقيدة من اتبع النبي المسيح ﷺ فلا هي تؤلهه ولا هي تصدق مزاعم اليهود الذين قالوا إنهم صلبوه. النصرانية الحقة هي عقيدة توحيد لا تختلف في جوهرها عن الموسوية الحقة ولا الدين الإسلامي قطعاً النصرانية التوحيدية هي بنت البيئة العربية، بيئة النبي إبراهيم والأنبياء إسماعيل وإسحق ويعقوب ويوسف وموسى وداود وسليمان وإلياس ومحمد خاتم الأنبياء والمرسلين. إنها بيئة التوحيد البعيدة عن التوثين والصنمية، البعيدة عن الخرافة والأسطورة البعيدة عن الفلسفة الوضعية، والبعيدة عن الأوهام التي يصنعها الموسوسون من الكتّاب أمثال لوقا ويوحنا وبولس، وأمثال من جاء بعدهم من متفلسفي العقيدة المسيحية الغربية.

هل التوراة والإنجيل كتابان سماويان؟

حتى لا يقع أي باحث في الخلط بين التوراة التي أنزلها الله سبحانه والإنجيل الذي أنزله الله وبين التوراة والإنجيل اللذين بين أيدينا فإن البحث في مقارنة الأديان ينصب على التوراة بأنواعها والإنجيل بأنواعه كما كتبا ودوّنا ووصلا إلى أيدينا لا كما أنزلهما الله.

وإن ظل الاسم مسمى لنوعين من الكتب سماوية ووضعية إلا أننا نرى أن البحث يتناول هذه النصوص المتداولة اليوم والتي درج على معرفتها الناس منذ مئات السنين على أنها كتب سماوية بينما هي ليست كذلك، لأن أحدها وهو التوراة

يُطلق على ثلاثة كتب تسمى بهذا الاسم. وهي التوراة العبرانية والتوراة السامرية والتوراة اليونانية أو السبعينية. وثانيها كتاب مؤلف من أربعة كتب لأربعة مؤلفين وهي: إنجيل متى وإنجيل مرقص وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا. أما السؤال المطروح في هذا الإطار فهو:

هل التوراة كما نراها اليوم كتاب منزل من الله سبحانه وتعالى؟

وهل الأناجيل الأربعة تستمد قدسيتها عند المسيحيين من كونها منزلة من الله عز وجل. أم تستمد قدسيتها من أمر آخر؟

ثم نطرح السؤال التالي: ما هي المقاييس المتبعة حتى نعرف مدى ارتباط هذين الكتابين بالتنزيل الإلهي؟

وللإجابة على هذه الأسئلة لابد من التمعن والتفكر طويلاً في السُبل المنطقية لإيجاد الجواب المقنع.

وقبل الغوص في إيجاد الأجوبة المنطقية لابد أن نشير إلى أن القرآن الكريم الذي أنزل بعد التوراة والإنجيل الحقيقيين يتضمن حديثاً طويلاً عن هذين الكتابين كما أنزلا. ويتضمن كلاماً صريحاً عن تحريفات كثيرة وقعت لهما بل وإخفاءً تاماً لإنجيل عيسى عليه السلام.

وهذا يعني أن هناك توراة وإنجيلاً موجودان في القرآن الكريم، ونستطيع أن نحصر الآيات القرآنية الكريمة التي تحدثت عنهما وعن محتوياتهما.

ولابد هنا من الإشارة إلى ما قاله الدارسون الكُثر من المسيحيين واليهود في هذين الكتابين وهم يحققون في النصوص التوراتية والإنجيلية. من حيث تاريخ الكتاب والمؤلفون والتناقض مع معطيات التاريخ وعلم الآثار والعلوم بشكل عام.

ورد اسم التوراة في القرآن الكريم في تسعة عشر موضعاً.

وورد اسم الكتاب المقترن بالنبي موسى عليه السلام في تسعة مواضع.

وورد اسم الإنجيل في اثني عشر موضعاً من القرآن الكريم.

أما في ما يخص الكتاب المرتبط بالنبي موسى عليه السلام، فقد قال تعالى:

1 ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (القصص 43).

2 ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (البقرة 87).

3 ـ ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (الأنعام 154).

4 ـ ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (الإسراء 2).

5 ـ ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ (هود 17).

6 ـ ﴿ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ ﴾ (الأحقاف 12).

7 ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (المؤمنون 49).

8 ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (الفرقان 35).

9 ـ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (السجدة 23).

أما فيما يخص الإنجيل وعلاقته بالنبي عيسى عليه السلام فقد قال تعالى:

1 ـ ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (آل عمران 3).

2 ـ ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (آل عمران 48).

3 ـ ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ ﴾ (آل عمران 65).

4 ـ ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ (المائدة 46).

5 ـ ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ ﴾ (المائدة 47).

6 ـ ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (المائدة 66).

7 ـ ﴿ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (المائدة 68).

8 ـ ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ (المائدة 110).

9 ـ ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ (الأعراف 157).

10 ـ ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ﴾ (التوبة 111).

11 ـ ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ ﴾ (الفتح 29).

12 ـ ﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ ﴾ (الحديد 27).

وتنقسم التوراة إلى ثلاثة أنواع هي:

obeikandl.com

1 ـ التوراة السامرية وفيها خمسة أسفار فقط وتسمى أسفار موسى الخمسة.

2 ـ التوراة العبرانية وفيها تسعة وثلاثون سفراً.

3 ـ التوراة اليونانية أو السبعينية وشارك في كتابتها اثنان وسبعون حبراً يهودياً زمن الملك المتنصر قسطنطين، وفيها أربعة وأربعون سفراً وتشترك الكتب الثلاثة بالأسفار الخمسة الأولى وهي:

1 ـ التكوين 2 ـ الخروج 3 ـ اللاويين 4 ـ العدد 5 ـ التثنية.

أما الأناجيل فهي أربعة معترف عليها من قبل الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والبروتستانتية وهي: إنجيل متى، إنجيل مرقص، إنجيل لوقا، إنجيل يوحنا. وهناك أناجيل غير معترف عليها وهي كثيرة تصل إلى العشرين إنجيلاً أهمها على الإطلاق إنجيل برنابا. وقد أعدمت الكنيسة جميع الأناجيل في القرن الرابع الميلادي وأبقت على الأناجيل القانونية حسب رأيها وهي الأربعة التي ذكرناها.

وحين نضع التوراة والأناجيل في ميزان مقارنة الأديان لابد أن نستعين بعلم تاريخ الأديان ومن ضمنه تاريخ كتابة هذه الكتب. ولابد من اللجوء لعلم مقارنة الأديان بما فيه من قوانين وأسس وقواعد تمكننا من الإجابة على السؤال الكبير. هل التوراة والأناجيل كتب سماوية أو وضعية؟

وبذلك يمكن لنا أن نصل إلى نتائج إيجابية مهمة.

ويمكن أن نجمل الأسس والقواعد والقوانين فيما يلي:

1 ـ تاريخ ظهور كتاب التوراة وتدوينه.

2 ـ تاريخ ظهور كل إنجيل على حدة.

3 ـ مقارنة بين ما جاء في القرآن الكريم وما جاء في التوراة والأناجيل من قصص وعقيدة وتشريع.

4 ـ اللغة التي كتب بها كتاب التوراة وكذلك اللغة التي كُتبت بها الأناجيل مقارنة بالأصل إن وُجد، وإن لم يوجد فمقارنة بالمعطيات التاريخية واللغوية والمؤثرات الداخلية والخارجية.

5 ـ آراء العلماء في هذه الكتب وخاصة العلماء اليهود والنصارى.

تاريخ ظهور التوراة وتدوينه:

على الرغم من انتقاد كافة العلماء والمفكرين والباحثين لما أوردته التوراة العبرانية من أن هذا الكتاب موحى به من الله سبحانه. إلا أن إجماعاً شبه كامل يؤكد أن التوراة العبرانية دونها عزرا الكاتب الذي كان ضمن المسبيين اليهود في بابل.

ولعل الاختلاف في ما بين التوراة العبرانية والتوراة السامرية والتوراة اليونانية في طريقة التأليف وتاريخه يشير إلى أن هذه الكتب المسماة بالتوراة ليست بالتأكيد الكتاب الذي أنزله الله سبحانه على النبي موسى عليه السلام.

وعندما نراجع آيات القرآن الكريم نجد أن الله سبحانه أنزل على موسى الألواح وفيها موعظة وهدى لبني إسرائيل. وهذه الألواح وما حوته من تعاليم في الحلال والحرام والتشريع بشكل عام شكلت الكتاب، أي كتاب موسى عليه السلام ولا تمت بصلة لما أنزل من بعده.

وقد رأى العلماء الغربيون وغيرهم أن أقدم نسخة من الكتاب المقدس خُطت باللغة العبرية لا يتجاوز عمرها أربعمائة سنة بعد ميلاد المسيح عليه السلام.

وهذا يعني أن ما دونه عزرا حسب قول التوراة لم يظهر إلى العيان ولم يُعثر على ما دونه. وإنما عثر على مخطوطات هذا الكتاب بعد ميلاد المسيح بأربعمائة سنة.

(ويلاحظ أن أبعد تاريخ لتدوين أقدم نسخة خطية للكتاب المقدس حسب تقدير المتساهلين من علماء الأديان الغربيين هو نهاية القرن الرابع الميلادي، أي أن أقدم نسخة من هذا الكتاب كُتبت بعد النبي موسى بألف عام)[1].

ويقرر الباحثون والعلماء أن هناك مقياسين لمعرفة نسب أي كتاب ديني ولا سيما التوراة.

1 ـ أن يكون الكتاب قد وصل إلينا بالسند المتصل المتواتر.

---

(1) د. محمد عبدالله الشرقاوي: في مقارنة الأديان، ص 54، دار الهداية، القاهرة 1986.

2 ـ أن يثبت ثبوتاً قطعياً أن نبياً من الأنبياء قد كتبه أو أملاه بناءً على وحي إلهي. ولابد أن يعتمد كل هذا على اليقين ومجرد الوهم غير كاف[1].

وعلى هذا فهل ثبت ثبوتاً قطعياً أن النبي موسى عليه السلام قد دوّن كتاب التوراة أو أمر بتدوينه؟

وهل ثبت أن كتاب التوراة وصل إلينا عن طريق السند المتواتر.

في سفر التكوين أو سفر الخليقة لم يظهر النبي موسى قطعاً ولا يوجد أي إشارة في هذا السفر إلى النبي موسى.

وفي سفر التثنية الذي يعتبر أهم سفر تشريعي ويعتبر من أسفار موسى الخمسة ترد عبارة (وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً فكملت أيام بكاء مناحة موسى) تثنية 34: 7 ـ 8.

فإذا كانت التوراة وحياً من الله لموسى فكيف تقول حين مات: وكان ابنَ مئة وعشرين سنة؟.

وترد في آخر عبارة من هذا السفر: (ولم يقم بعد نبي في إسرائيل مثل موسى).

على أي حال فالميت لا يدوّن والميت لا يوحى إليه بالتدوين وموسى عليه السلام لم يأمر أحداً بتدوين هذه الأسفار.

وهناك الكثير من النصوص التي وردت في الأسفار الخمسة الأولى من التوراة العبرانية تدل أن كاتب هذه التوراة رجل جاء بعد موسى عليه السلام بمئات السنين منها: أن موسى عليه السلام لم يكتب مقدمة سفر التثنية الحالي التي جاء فيها: (فيما وراء نهر الأردن ابتدأ موسى بشرح هذه الشريعة قائلاً...) فموسى لم يعبر نهر الأردن ومات في البرية كما جاء في آخر سفر التثنية ذاته وورد في سفر التثنية: (وقد كتب موسى هذه التوراة) ويستحيل أن يكون موسى قد قال ذلك، بل لابد من أن

(1) المرجع السابق ص 61.

يكون قائلها كاتباً آخر يروي أقوال موسى. وقد أشارت التوراة إلى أحداث ووقائع لم تحصل إلا بعد وفاة موسى ﷺ، ومن الواضح أن أسلوب صياغة هذه الأسفار الحالية يجزم بأن موسى ﷺ لم يكن واضعها وذلك من طريقة إسناد الضمائر أو التعليق على نص الرواية وشرحها. وأشارت هذه التوراة إلى أسماء أماكن لم تعرف بهذه الأسماء إلا بعد موسى ﷺ بزمن طويل[1].

ومن الأدلة الواضحة على عدم صلة هذه التوراة بالنبي موسى اختلاف المضمون والمفردات بين ترجمات التوراة.

فإحدى نسخها المترجمة إلى العربية قبل ألف عام يرد في بداية سفر التكوين: في الأول خلق الله السماء والأرض وكانت الأرض غير منظورة وغير مستعدة والظلمة فوق اللجة وروح الله ترف فوق الماء. ويطلقون على هذا السفر سفر كون الدنيا.

وقد جاء في ترجمة المشرق: في البدء خلق الله السماوات والأرض وكانت الأرض خاوية خالية وعلى وجه الغمر ظلام وروح الله يرف على وجه الماء.

وفي ترجمة المطبعة الكاثوليكية: في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خربة خاوية وعلى وجه الغمر ظلام وروح الله يرف على وجه الماء.

فأي الروايات هي الأصح؟ لا ندري.

وإضافة إلى ذلك فإن سند التوراة ينقصه التواتر أو بالحري يفتقد لهذا التواتر كلياً. فيرى مثلاً السموأل بن يحيى المغربي أن هذه التوراة هي كتاب عزرا وليست كتاب الله كما يقرر بأنه لا يعتقد أحد من علماء اليهود وأحبارهم البتة أن هذه التوراة التي بأيديهم هي المنزلة على موسى[2].

(1) محمد عبدالله الشرقاوي: مقارنة الأديان، ص 76 ـ 77.

(2) السموأل بن يحيى المغربي: إفحام اليهود، ص 135 ـ 145، دار الهداية، القاهرة 1986.

ويقول السموأل: (فلما رأى عزرا أن القوم قد أحرق هيكلهم وزالت دولتهم وتفرق جمعهم ورفع كتابهم جمع من محفوظاته. ومن الفصول التي يحفظها الكهنة ما لفق منه هذه التوراة التي بأيديهم الآن)[1].

وهناك من القضايا الكثيرة المثيرة والتي تقف حائلاً كبيراً دون وجود صلة بين التنزيل الإلهي والتوراة التي يتداولها اليهود والنصارى اليوم.

فالتوراة العبرية المؤلفة من 39 سفراً تنقسم إلى مجموعات، المجموعات الأولى الأسفار الخمسة التي ينسبونها للنبي موسى عليه السلام.

والمجموعة الثانية وتسمى التاريخية وهي اثنا عشر سفراً وهي سفر يشوع والقضاة وراعوث وصموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني وأخبار الأول والثاني وسفر عزرا. وهي سرد تاريخي ملحمي يتنافى مع حقائق التاريخ.

والمجموعة الثالثة أسفار شعرية وتسمى أسفار الأناشيد وعددها خمسة أسفار وهي أيوب ومزامير داود وأمثال سليمان والجامعة من كلام سليمان ونشيد الإنشاد لسليمان.

والمجموعة الرابعة أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفراً، وهي أشعياء أرمياء مراثي إرمياء حزقيال دانيال هوشع يوئيل عاموس عوبيديا يونان ميخا ناحوم حبقوق صُفنيا حجّاي زكريا ملاخي. ويقولون: إن هذه الأسفار موحى بها من الله إما كتابةً أو شفاهية. فإذا كانت وحياً من الله فإن ما فيها يتناقض تناقضاً كلياً مع صفات الله وأفعاله ومع معطيات التاريخ والأخلاق العامة والتشريع.

ولذلك سنوجز التناقضات فيما يلي:

1 ـ الأسفار تجسد الله الخالق وتجعله كالبشر فكيف يكون الله أوحى بها وهو منزه على التجسيد والتجسيم وصفات البشر.

2 ـ تلصق بالأنبياء صفات الرذيلة والاستهتار بالقيم والأخلاق فهل يعقل أن يوحي الله بأمور تشوه أنبياءه الذين بعثهم لهداية البشر.

---

(1) المصدر السابق، ص 138.

3 ـ هناك أسفار خمسة شعرية فيها تجديف على الله ووصف لحالات جنسية شاذة فهل يعقل أن يوحي الله بأمور فيها تجديف على ذاته.

4 ـ في الأسفار التاريخية عنصرية دموية واضحة ومذابح ترتكب بحق الآمنين من الأطفال والشيوخ والنساء والحيوانات، فهل حقاً أن الله عنصري دموي يتلذذ بمقتل الأطفال والشيوخ والنساء والحيوان؟!.

5 ـ هل يكتب الله أو يوحي بالتاريخ والشعر كما تتصور التوراة؟

6 ـ نص التوراة السامرية يخالف مخالفة واضحة نص التوراة العبرانية والتوراة اليونانية. وهذه الكتب لا تتطابق سواءً في عدد الأسفار أو في محتوى هذه الأسفار ويتهم علماء كل فرقة منهم الآخرين بالتحريف والوضع.

7 ـ النصوص التاريخية التوراتية تخالف الحقائق التاريخية والآثارية فإذا كانت حقاً موحاة من الله سبحانه فلا يمكن أن تكون متعارضة مع الحقائق التاريخية والآثار. بل إنها تكون مفتاحاً علمياً صحيحاً لعلوم التاريخ والآثار.

آراء بعض العلماء حول مصدر التوراة

لقد طرح عدد كبير من علماء الأديان والفلاسفة آراء حول مصدرية كتاب التوراة ما إذا كان كتاباً سماوياً أو موضوعاً، وقد استند هؤلاء العلماء على مستندات تاريخية وعلمية واستنتاجات في غاية الأهمية.

وقد طرح هذا السؤال الفيلسوف اليهودي باروخ سبينوزا 1633 ـ 1677.

هل نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى صحيحة؟ فإذا كانت صحيحة فمعنى ذلك أنها من مصدر إلهي وإذا لم تكن نسبتها صحيحة فهي موضوعة وليس إلهية فيقول: لا تتحدث الأسفار الخمسة عن موسى بضمير الغائب فحسب وإنما تعطي عنه شهادات عديدة لا يصح البتة أن يكون هو الذي أعطاها عن نفسه ومن ثم لا يسوغ قطعاً أن يكون هو كاتبها وهذه الشهادات مثل: تحدث الله مع موسى وكان الله مع موسى وجهاً لوجه.. وكان موسى رجلاً حكيماً جداً أكثر من كل الناس فسخط موسى على وكلاء الجيش.. موسى رجل الله. لقد مات موسى خادم الله ولم يقم من بعده في بني إسرائيل كموسى.

obeikandi.com

وعلى العكس من ذلك فإن موسى يتحدث ويقص أفعاله بضمير المتكلم في سفر التثنية التي كُتبت فيها الشريعة التي شرحها موسى للشعب والتي كتبها بنفسه فيقول مثلاً: (كلمني الرب. رجوت الرب) فطريقة الكلام والشواهد ومجموع نصوص القصة كلها تدعو إلى الاعتقاد بأن موسى لم يكتب هذه الأسفار بل كتبها شخص آخر.

ويتابع سبينوزا بقوله: يجب أن نذكر أيضاً أن هذه الرواية الواردة في الأسفار الحالية لا تقص فقط موت موسى ودفنه وحزن الأيام الثلاثين للعبرانيين عليه، بل تروي أيضاً أنه فاق جميع الأنبياء، إذا ما قورن بالأنبياء الذين جاؤوا بعده. (ولم يقم من بعده نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجهاً لوجه) فهذه شهادة لم يكن من الممكن أن يدلي بها موسى عن نفسه أو شخص آخر أتى بعده مباشرة. بل هذه شهادة شخص عاش بعده بقرون عديدة وقرأ عن أنبياء عديدين بعد موسى ولا سيما أن المؤرخ قد استعمل الصيغة المعبرة (ولم يقم) ويقول عن القبر (ولم يعرف أحد قبره إلى يومنا هذا).

ويرى سبينوزا أن موسى كتب بنفسه بأمر الرب سفراً يسمى (سفر حروب الرب) يحتوي على قصة الحرب ضد العماليق. وهناك إشارات إلى سفر آخر يسمى (سفر العهد) قرأه موسى أمام الإسرائيليين عندما عقدوا عهداً من الرب. ويرجح سبينوزا أن مضمون هذا السفر متضمن في الإصحاح العشرين من سفر الخروج الحالي.

وهناك ذكر لسفر يسمى توراة الرب أو توراة الله ثم شرح موسى الشرائع التي سنها وأخذ من الشعب ميثاقاً جديداً بأن يظلوا خاضعين للشريعة ثم كتب ذلك كله في سفر توراة الله.

ثم يتساءل سبينوزا: أين سفر توراة الرب، أو توراة الله؟

ويجيب: لما لم يكن لدينا أي سفر يحتوي على عهد موسى وفي الوقت نفسه على سفر يشوع فيجب أن نعترف ضرورة بأن هذا السفر قد فُقد. ونستنتج إذاً أن سفر توراة الله هذا الذي كتبه موسى لم يكن من الأسفار الخمسة الحالية بل كان سفراً مختلفاً كلية.

ويرى أن سفر توراة الله الذي كتبه موسى كان صغيراً جداً لأن واضع التوراة الحالية ذكر أن موسى أعطاه الأحبار ثم طلب قراءته أمام الشعب في أوقات معلومة وهذا يدل على أنه كان أقل حجماً بكثير من الأسفار الخمسة. إذ كان من الممكن قراءته كله في مجمع عام بحيث يفهمه الجميع. ومعنى ذلك أن التوراة الأصلية ليست هي هذه الأسفار الحالية.

وبنفس الطريقة ينقد سبينوزا بقية الأسفار يشوع والقضاة ويثبت أنها لم تكتب من قبل يشوع والقضاة بل كتبها شخص آخر جاء بعدهم بقرون.

ويقرر سبينوزا أن الذي كتب الأسفار مؤرخ واحد أراد أن يروي تاريخ إسرائيل القديم منذ نشأتهم الأولى.

ويدل على ذلك وحدة الغرض في جميع الأسفار التي فحصها.

وطريقة تسلسل هذه الأسفار أو طريقة ربطها ببعضها وتخلُّص المؤرخ من سفر إلى آخر، والمحتوى.

ويرجح سبينوزا أن عزرا هو الذي دون هذه التوراة ونسبها إلى موسى زوراً وبهتاناً[1]. فهو الذي تمتع بثقافة عالية وبوضع اجتماعي مرموق عند الملك البابلي نبوخذ نصر ثم عند ملك الفرس. ولم يعرف بنو إسرائيل راوياً يروي التاريخ قبل عزرا الكاتب.

ولا يقتصر التشكيك بالتوراة والإنجيل على سبينوزا وحده بل إن الكثيرين من علماء الغرب وفلاسفتهم شككوا بهذين الكتابين ونسبوهما إلى مؤلفين معروفين أو مجهولين، وبمعنى آخر رفضوا نسبة الكتابين إلى عملية تنزيل إلهي.

ومن هؤلاء آدم كلارك الذي فسر سفر التثنية حيث يقول: إن الآيات الخمس من أول هذا الباب بمنزلة المقدمة لباقي الكتاب وليست من كلام موسى والأغلب أن يشوع أو عزرا ألحقها.

---

(1) نقلاً عن كتاب محمد عبدالله الشرقاوي في مقارنة الأديان من ص 75 ـ 85.

والحق أن علماء الكتاب المقدس لا يقتصر إقرارهم بالوضع والإلحاق على بعض العبارات أو الجمل بل يتعداه إلى الإقرار بإلحاق أو وضع باب أو إصحاح بأكمله في سفر التثنية.

ويتابع هنري كلارك حول ذلك بقوله: ثم كلام موسى على الباب السابق، أي الباب 34 من سفر التثنية ليس من كلامه ولا يجوز أن يُقال إن موسى كتب هذا الباب أيضاً بالوحي. لأن هذا الاحتمال بعيد من الصدق والحُسن بل ويجعل المطلب كله لغواً. وإني أجزم ـ والكلام لكلارك ـ بأن هذا الباب كان باباً أولاً لكتاب يوشع. والحاشية التي كتبها بعض الأذكياء من أحبار اليهود على هذا الموضع مرضية وقابلة للقبول.

نستخلص مما تقدم: أن هذا الكتاب وحتى الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام لا سند لها ولا دليل على أنها وحي من الله وأنها مجرد تأليف لا أكثر ولا أقل.

بحث في وضعية الأناجيل وعدم رجوعها إلى التنزيل الإلهي

من المؤكد والمسلم به أن الإنجيل الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام اختفى ولم يظهر إلى الوجود بعد رفع عيسى عليه السلام.

وظهرت بعده أناجيل عديدة قد يصل تعدادها إلى أكثر من عشرين إنجيلاً. وكل إنجيل تختلف روايته ولغته عن رواية ولغة أي إنجيل آخر.

في بداية الأمر نحن نسلم أن الله سبحانه أنزل على عيسى إنجيلاً وهذا صريح في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ (آل عمران 3).

ويقول تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ (المائدة 46).

ويقول تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ (الحديد 27).

ولكن أين هو هذا الإنجيل؟ لو عدنا إلى جميع الروايات التاريخية والمسيحية لرأينا أنه لا ذكر لإنجيل عيسى عليه السلام.

وبعد التحليل لمجريات الأحداث الخاصة بقصة المسيح والتي وردت في الأناجيل ومصادر التاريخ تشير إلى أن الإنجيل الذي نزل على عيسى أُخفي أو أخفاه اليهود والرومان لتكتمل المؤامرة حيث يُؤلهُ المسيح ويُصلب وهذا من الهراء والكذب وإذا كان لا يوجد إنجيل لعيسى عليه السلام فهل هذه الأناجيل التي كتبت من قبل أشخاص على فترات متباينة أنزلت من السماء؟ أو هل هي وحي من الله؟

جميع كتبة الأناجيل يعترفون أنهم هم من دونوا هذه الأناجيل وفيها أخبار وأفكار نقلها هؤلاء مما يرويه الناس على مدى قرن من الزمان بعد رفع المسيح عليه السلام. يتفق اللاهوتيون وكثير من العلماء أن إنجيل متى ظهر إلى الوجود ما بين عامي 75 ـ 90م وظهر إنجيل مرقص في ما بين عامي 60 ـ 70م، وظهر إنجيل لوقا في عام 70م أو بعد ذلك بقليل، وظهر إنجيل يوحنا في ما بين 110 ـ 113 بعد ميلاد المسيح.

وبشهادة لوقا أنه (لما أخذ كثير من الناس يدونون رواية الأمور التي تمت عندها كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهود عيان للكلمة. ثم صاروا عاملين لها رأيت أنا أيضاً وقد تقصيتها جميعها من أصولها أن أكتبها لك مرتبة يا ثاوفليس المكرم لتتيقن صحة ما تلقيت من تعليم).

يرى العلماء أن استهلال الأناجيل بعبارة ـ (طبقاً لـ) يدل على أن كل الأناجيل، ما عدا إنجيل برنابا، لا تشير حقيقةً إلى مؤلف الأناجيل أو توقيعه.

وهناك شهادات كثيرة لقساوسة مسيحيين حول عدم الموثوقية بهذه الأناجيل على أنها منزّلة من الله.

من هذه الشهادة شهادة القس فيلبُس من الكنيسة الإنجليكانية البريطانية وهو من أشهر رجال الكنيسة.

يقول: (تنسب التقاليد القديمة جداً هذا الإنجيل إلى الحواري متى ولكن علماء العصر الحاضر غالباً ما يرفضون هذا الرأي).

ويقول: إن المؤلف الذي ما زلنا ندعوه متى، لا بد أن نقول عن كتابه الكتاب الأول من العهد الجديد. لقد اعتمد متى بكل وضوح على مصدر خفي يرمز له بالحرف Q ولعله يكون مجموعة من التراث الديني الشفاهي. ولابد من وجود وثيقة أخرى استمد منه كلٌ من متى ومرقص ولوقا مدخلاً لأناجيلهم.

وتحت عنوان سرقة بالجملة يقول الشيخ أحمد ديدات:

ولكن ماذا عن الوحي ماذا عن حرفة الإلهام. لقد أصاب القس الإنجليكاني فيلبُس والمربوط على ميزانية أبرشية المرمى. فإنه أوفر من أي مسيحي آخر مفوض لمثل هذا العمل. يقول: إن القديس متى استخدم مادة إنجيل مرقص بتصرف مطلق في إنجيله أي بلغة مدرّسي المدارس. إنه نسخ صورة طبق الأصل إجمالية من إنجيل مرقص. ومع هذا فإن المسيحيين يطلقون على انتحال أو سرقة المؤلفات بالجملة إنها كلام الله[1].

ويبرز السؤال المفروض: لماذا ينتحل شاهد عيان وهو متى من إنسان كان يكتب عن الأحاديث الشائعة وقتئذ؟ إن الحواري متى لن يُقدم على عمل أحمق كهذا فلا بد وأن تكون هناك وثيقة أخرى مجهولة المؤلف وبلا توقيع فرضت فرضاً على اسم متى لتحظى بشرف انتسابها إليه.

ويتضح أن 85٪ من سرقات كتاب مرقص وانتحالها من كتابي متى ولوقا تضع إنجيلهما في صور لا معنى لها بالمقارنة بالاختطافات الأدبية لمؤلفي مؤلفات العهد القديم حيث إن 100٪ من هذه السرقات حدثت فيما يطلق عليه أنه كتاب الله. ومن ناحية أخرى فإن الاختلاف في المنهج وأسلوب الكتابة وحتى كتابة المقدمة والابتداء يدل على أن كل مؤلف من مؤلفي الأناجيل كتب إنجيله على هواه وبما تقتضيه المصلحة والزمان والمكان.

لقد جمع الإنجيليون ودونوا وفقاً لنظراتهم الخاصة ما أتاهم من التقاليد الشفهية لكنهم لم يكتفوا بذلك فقد كانوا يشعرون هم أيضاً أنهم يعلنون البشرى

---

(1) أحمد ديدات: هل الكتاب المقدس كلام الله، ص 154 ـ 155.

لأهل جيلهم ويرغبون في التعليم وفي الجواب عن مشاكل الجماعات التي كانوا يكتبون لأجلها[1].

ثم إن الأناجيل حسب اعتراف الكهنوت المسيحي تعبر عن بيئات مختلفة. فالأناجيل الثلاثة باستثناء يوحنا وضعت قبل هذا الإنجيل. أما إنجيل متى وإنجيل لوقا فلا تنعكس فيهما البيئات نفسها لأنهما وُجِّها إلى بيئات أخرى. وحسب رأي المسيحيين اللاهوتيين فقد وُضعا بعد إنجيل مرقص بـ 15 ـ 20 سنة.

ومن العلامات التي تدل على التأليف البشري:

1 ـ افتقاد إنجيل متى إلى اللحمات الزمنية.

2 ـ غموض الإشارات المكانية وعدم الترابط بين الروايات القصيرة عن سيرة المسيح.

3 ـ وُرود مفردات تارة يونانية، وتارة عبرية، وأخرى آرامية.

فإذا كان إنجيل متى ومرقص وحياً من الله فهل هذا الوحي يكون تارة باللغة الآرامية وتارة باليونانية أو اللاتينية.

4 ـ جهلُ لوقا بجغرافية فلسطين. فإذا كان إنجيله وحياً من الله فهل يخطئ الله بالجغرافيا؟

5 ـ وقد أوردنا أن هناك عشرات الأناجيل التي أتلفتها الكنيسة. فهل يُعقل أن الله أوحى لمؤلفي الأناجيل جميعهم فكتبوا هذا الكم من هذه الأناجيل؟؟

إن التثبّت الذي أوردناه من أن الأناجيل تأليف وليست وحياً من الله يصل بنا إلى نتيجة حتمية مفادها أن العقيدة المسيحية، خاصة التي يتنباها الغربيون وعلى رأسهم الكنيسة الكاثوليكية في روما ليست سوى عقيدة باطلة منشقة عن عقيدة المسيح الأساسية ـ لذلك رأينا عندهم تأليه المسيح وصلبه وآلاف الخزعبلات والتخيلات التي صنعوها بأنفسهم ولم يقل بها المسيح عليه السلام ولم ترد في إنجيله الذي أنزله عليه الله سبحانه وتعالى.

(1) العهد الجديد، مدخل إلى الأناجيل الإزائية ص 22.